

سورية: هل انتهى اتفاق وقف العمليات؟

■ **حميدي العبدالله**

ما يجري على الأرض منذ أكثر من ثلاثة أسابيع على الجبهات الثلاث، وعلى المسؤولين الغربيون وتحديدا الأميركيون من مواقف تصعيدية على المستوى السياسي، وإصدار وفد الرياض على بحث هيئةّ الحكم الانتقاليّة، أولا، والاتفاف على تفاهات جنيف، وإعلان عدد من الفصائل المسلحة وقف التزامها بوقف العمليات، كلها مؤشرات سياسية وميدانية تُؤكّد أنّ وقف «الأعمال القتالية» لم يعد قائما من الناحية العملية، وهو تفاهم افتراضي أكثر منه شيءٍ آخر.

هل هذا التصعيد، الذي يتزامن مع بدء جولة جديدة من الحوار في جنيف، مكرس لتحسين الشروط التفاوضية؟ أم هناك سعي جديّ من قِبل الولايات المتحدة وحلفائها لتغيير العمليات الميدانية، رهانا على عاملين أساسيين، العامل الأول، سحب روسيا لوفتها الجوية الرئيسية من سورية، حيث فسّر هذا الانسحاب من قِبل دوائر غربية عديدة بأنه محاولة روسية لتقادي التورّط طويل الأمد في الصراع الدائر في سورية. وبالتالي نشوء وضع قد يخل بالتوازنات ويسمح باستعادة زمام المبادرة، وتعديل توازن القوى الذي ساد غير التوصل على التفاهم الروسي الأميركي حول وقف العمليات، أي أنّ التصعيد السياسي والعسكري هدفه اختبار معادلات توازن القوى بعد الانسحاب الروسي، أو الانسحاب الجزئي الروسي. العامل الثاني وصول تعزيزات الجماعات المسلحة في العديد والعداد إلى حلب عبر تركيا، وثمة تقارير تتحدّث أيضا عن تعزيزات وصلت إلى مناطق في ريفي درعا والقنيطرة. معزل عما إذا كان التصعيد هدفه تحسين الشروط التفاوضية، أو محاولة لتغيير توازن القوى الميداني، فإنّ النتيجة الواضحة والأكيدة أنه لم يعد هناك وجود فعلي لتفاهم وقف العمليات، وجل ما هو قائم الآن لا يتعدّى الاتفاق الافتراضي، الذي يحتاج إلى تعويم، ويبدو أنّ هذا التعويم متدنٍ في الظروف الحالية، لأن ليس هناك مصلحة لدى بعض الأطراف في العمل بهذا الاتجاه.

أما انعكاسات ذلك على حوار جنيف، فهي لا تزال غير واضحة لجهة تعليق الاجتماعات أو استمرارها من دون أية نتيجة. لكن الأمر الأكد، كما كان متوقعا، أنّ هذه الجولة ستكون أكثر الجولات فشلا، ولن تحقق أيّ تقدّم، لا بالشكل ولا بالمضمون.

المعارضة واجهة لـ«النصرة»

- تظهر لائحة المصالح على البيان الصادر باسم الفصائل المسلحة الذي يعلن الخروج من المهديّة تحت شعار انتفاكات يتهم الدولة وجيشها بها أن جماعات الوهابية وترتكيا هم الموقعون.

- الشما سورية الذي يشكل ساحة المواجهة العسكرية المسماة سقوط المهديّة تتواجد فيه حصرا القوي التي تعتاش على الدم التركي، ولا يمكن لعائل إفغال الإصابع التركية المباشرة في أيّ تصعيد أو تهديّة هناك.

- معلوم أيضا أنّ التركي يعلن سعيه لرسم خط أحمر حول وجود "جبهة النصرة" وهل أو لا، وعزّاز وتواجدها في حلب كورقة مفاضية إقليمية على مكاسب أمنية وسياسية تريدها تركيا بحصيلة دورها في الحرب.

- عندما تمّت استثناء "جبهة النصرة" من أحكام الهديّة لم تكن تركيا ولا السعودية موافقتين ولا مرتاحتين وكان خيار الصمت متراقفا مع السعي لصفقة بين "النصرة" وما يسمّى بالفصائل المسلحة بضمن إفادة "النصرة" من المهديّة وإفادة جماعة الرياض المفاوضات من ادّعاء سيطرتها على الوضع هناك.

- شرط "النصرة" هو أنّ القرار لها والتغطية مهمة جماعة الرياض

ويعد تدمير قرّرت "النصرة" التفجير لحماية ادلب فتولت جماعة الرياض التبرير.

التعليق السياسي

لاعب النرد الجمهوري

■ **إيمان شويع**

هي أشبه لعبة نرد، أو «الطاولة» كما هو متعارف عليه في المقاهي التي يترادها عامة الناس، إلاّ أنّ الإفتتاح الذي وصلنا إليه في القرن الواحد والعشرين وخاصة في لبنان جعل «الطاولة» أيضاً خط السياسيين، لكن الأمور هنا أكثر تعقيدا مع الإبقاء على العشوائية التي يميّز بها النرد، فلاعب النرد يربح حيناً ويخسر حيناً، وكذلك المرشح للكرسی الخشبي الأول الذي رشح نفسه للعبة النرد معتمدا على حظه من الأصوات، فاصوات النواب العشوائية والتي ترتفع وتنخفض حسب طالع المرشح، وحسب ما تقرأه قارئة الفجآن له قيل أنّ يدخل إلى قاعة مجلس النواب منتظرا حظه، فإما أنّ يربح وإما أنّ يخسر، وإما أنّ تفرق معه على صوت أو اثنين أو ثلاثة أو خمسة... أو مئة وثماني وعشرين، لكن مهلا أيها المرشح، ففي لعبة النرد يكتمل نصاب النرد وتكون المعربات جميعها حاضرة أو لا يبرضف ذلك اللعب خوض غمار الطاولة، أما أنت، فما أنت ذا تشرف عن ساديك وتتلقى الورقة دون النصاب المطلوب، حينذا لو «تلعبا صخ» لئلا تصاب بخيبة الأمل، وهذه الأمل في بعض الأحيان تأتي من بعوضة صارت هي الحلقة الأقوى في خيبة الافرقة.

قد يستغرب البعض من قدرة البعض على أخذ حيزٍ هام في وسائل الإعلام وعلى العتصة الشعب، لكن لا عجب فتمنح نسفي الأمور باسماها، والبعض اسمه وبعث وتعدت أسماؤا، وهنا السؤال الذي يطرح نفسه: ما شأن كرسی بعيدا بالبعوض أو العكس، ما شأن البعوض بكرسی بعيدا، فهل لو كان هناك رئيس لما كُتأ وصلنا إلى اجتياح البعوض إلى عاصمة سويسرا الشرق «لبنان»، وهل لو كان الكرسي مليئا لكان الإجراء بالبشر انتفى من لبنان، وهل لو كان ثمة رئيس لما كان هناك فضيحة في الأمن الداخلي، وهل لو كان الرئيس مرتبعا على عرشه لكان الإنترنت شرعية، والفتح غير مسرطن، وحلب الإطفال سليم، والزاحزون السوريون في بلدهم، والكهرباء حاضرة في الحياة اليومية، والماء غير ملوث، والمقعد لا يفتقرشون الشوارع، والمستشفيات لا تخرّج الموتى...

لو ولو ولوو... لكن لا وجود الرئيس وعدمه سيقان، فعندما كان الرئيس في صهرة العجدة كانت التفجيرات على مذ أعيننا والنظر، وكانت الكهراء لا تأتي إلا في المناسبات، وكانت السرقات تسير على خطى من سبقها ومن سيعقبها... وكان وكان وكان...

إنّ، فلعبة النرد الجمهورية تبقى لعبة نرد لا أكثر، فالمرشحان اللذان كانا في فترة من الفترات حليفين ها هما اليوم يقفان أندادا، وكل منهما يتمسك بفرقي ضدّ الآخر، فكيف تحوّل النائب سليمان فرنجية إلى مرشح 14 آذار وهو الذي كان مناصرا ل8 آذار وللعمالة، وكيف يمكن للجنرال ميشال عون أن يعاند عصا التحكم المتعددة الجهنسيات؟ لكن الطرفين ليسا ببعدين عن عصا التحكم هذه، فهي تعمل من خلال الأرقام الروحية، فأي شيء ينطق به فريق 8 آذار يعلم الجميع أنّ هواء إيران يتطاير في لبنان، وأي فتحة أو ضمة يحركها فريق 14 يعلم الجميع أنّ رياح الخليج بدأت بالهبوب.

فقرى ماذا تصدق، ومنمّن تأخذ الجواب المحزّز، وأين هي الموضوعية في إنتخاب الرئيس؟

قد تكون الحسنة في هذا الموضوع أنّ الهدر المالي الذي يصرّف على هذا الكرسي قد خف في سنتي الشغور، إلاّ أنّ الكرسي الأخرى لا توفّر شيئا فهي جاهزة للبيع، والبيع هذا أو الإبتلاعه هو الخاصية الأولى التي تتميّز بها كرسي الرئاسة السياسية أيما كان نوعها،فيما يكثفي الشعب بالجلوس على كرسي الهواة الذي يتنازع حسب الهواء الذي يأتي من أربع جهات، لا ياتي بل يعلم تارة بالإرباب، وتارة أخرى بالفيروسات، وتارة بالأفكار الشاذة، وتارة بالبشر المهاجرين...

فقطوي لكرسي عرف كرامته وانتظر، انتظر أيها الكرسي ولا تنتم، فربما تشرق شمسك ذات يوم، ربما...

البناء

الإيجابيات والتناقضات في خطاب أردوغان بعد الجلسة الختامية لمؤتمر التعاون الإسلامي

■ **ميشيل حنا الحاج***

رغبةٌ سعودية في تفاقمها، ترافقها رغبة تركية أيضاً بابقائها محتدمة، لكون الجانب التركي من بقاء تلك الخلافات قائمة.

ولكن الى جانب تلك الإيجابيات، هناك عدة سلبيات واضحة أبرزها ذلك المؤتمر والنتائج المرجوة من ورائه كما حدّدها أردوغان في خطابه، والتي قد تنسف كل إيجابياته، رغم توجه أردوغان، كرئيس لمنظمة التعاون الإسلامي للسعي لحلها. إن كانت قد بقيت له مصلحة في حلها، خصوصاً لدى إنتهاء رئاسته لتلك المنظمة بعد اثني عشر شهرا من الآن. وهذه السلبيات هي:

1) عدم إصراره على بقاء الملك سلمان بن عبد العزيزفي إسطنبول طوال يومئ المؤتمر، وتركه يغادر قاعة المؤتمر بعد إنتهاء الجلسة الافتتاحية فوراً متوجهاً إلى الرياض، دون تشبّث أردوغان بأفكاره وإسنادته ببقاء العاهل السعودي في إسطنبول، من أجل عقد اجتماع استثنائي بإشراف تركي، يسعى جدياً لمصالحة البلدين، علماً بأنّ إيران كان من المفروض أن تتعلم في المؤتمر بوزير خارجيتها، لكن الرئيس حسن روحاني قرّر في اللحظة الأخيرة، ترؤس الوفد الإيراني بنفسه، على أمل أنّ يشكل ذلك مناسبة ملائمة لمصالحة إيرانية سعودية.

فمفادرة العاهل السعودي لتركتها فور إنتهاء الجلسة الافتتاحية، شكل الفشل الأول لمهمة أردوغان كرئيس للمؤتمر، مع العلم بأنّ أخباراً تتردد حول عزم الرئيس روحاني للتوجه إلى الرياض قريباً، ماداً يداً إيرانية في دعوة جديدة لتذليل أسباب الخلافات بين الدولتين الكرئيتين، والتلّتين تتنازعان على القيادة في المنطقة، ومتساويتين الدور القيادي أيضاً لكل من مصر وتركيا.

2) كان على الرئيس أردوغان أن يحل خلافاته مع مصر قبل انعقاد المؤتمر. ولكنه لم يفعل. ولم تصل المصالحة السعودية التي قادها العاهل السعودي بينهما... إلى نتيجة جديدة، وذلك لعدم إبداء أردوغان المبتشّث بتوجهاته السياسية الإسلامية، الاستعداد للتجاوب مع الطلل المصري الوحيد، وهو تخليه عن التدخل في الشؤون الداخلية لمصر، والتأمّر عليها بتقديم الدعم المتواصل لحركة حماس والمنظّميات الإرهابية المتواجدة في سيناء، مع مواصلة تركية بعدم الاعتراف بشرعية النظام المصري الجديد الذي أقرّته ثورة 30 أيار (مايو)، وقادت إلى وصول الرئيس عبد الفتاح السيسي الى مقعد الرئاسة نتيجة انتخابات شرعية. فالرئيس الشرعي للبلاد، لم يزل في نظر أردوغان، هو الدكتور مرسي، الرئيس المزعول الذي أقصاه الشعب والحيش عن مقعد الرئاسة. فتقويت هذه الفرصة، قد أدّت الى امتناع الرئيس السيسي عن المشاركة كخضيف في المؤتمر، وانتداب وزير الخارجية، لإلقاء خطاب تسليم الرئاسة المصرية للرئيس كاتمر بروتوكولي مخض، بدّ معارضته قاعة المؤتمر، بل وتركتها أيضاً، فور إنتهائه من الإقاء خلال التصير.

3) موافقة تركيا على تبني المؤتمر لبیان ختامي بدون إيران وبتبنيها بإثارة النزاعات الطائفية في دول المنطقة، كما هو حاصل (كما يقول البيان) في سورية والعراق واليمن والصومال، علماً بأنّ النزاع السوري والصومالي، هو نزاع بين الحكومة الرسمية والمنظمة، شباب الصومال المنتمى للتنظيم «القاعدة»، وصاحب الإتجاه الوهابي السعودي. فهذا البيان، هو خطوة عملية تعلن عن فشل مهمة المؤتمر لحلّ الخلافات، ذلك أنّ البيان الختامي قد عزّزها.

4) تحوّل الرئيس أردوغان مشكوراًفي خطابه، عن وجوب بذل الخلافات الطائفية والعرقية والتي تشكل أساس النزاعات في المنطقة، أما حديثه عن الخلافات العرقية، ورغبته في الغائها كسبب للنزاع، فمرّد مصلحة تركية آثارها كذاك الصراع القائم في تركيا بين الحكومة وحزب العمال الكردستاني، ولولا وجود ذلك النزاع، لم أثار ذلك الموضوع. كما أنّ حديثه عن الخلافات الطائفية وما تثيره من مأس وعمليات قتل، إنّ من يقفله هذا المسلم، هو مسلم آخر (كما تذكر أردوغان فجاة)، ما كانت تنتجج في الظهور والاستفواء والبقاء حية، أو لم تفتح تركيا حدودها أمام تدفق الأسلحة على المقاتلين، وورود موجات وراء موجات من المقاتلين عبر تلك الحدود (ويضعهم من المرتزقة)، على ساحتي القتال الرئيسيّتين

وهما سورية والعراق. ومع ذلك، فإنّ المعتدلين والعقلاء في هذه المنطقة من العالم، يرجحون فعلاً الدعوة لنبذ الطائفية والعرقية كسببٍ للتقاتل بين شعوب، بل وحكومات هذه المنطقة من العالم، وذلك كخطوة نحو استجدال ذلك بالتنسيق فعال بين دول المنطقة، يمهدّ لاتحاد فيدرالي تدريجي بينها. ولكن لعله من الأجدى أنّ تكون تركيا في العمار لإيقاف التقاتل لأسباب عرقية بامتثالها عن مقاتلة الجماعات الأتراك لأسباب عرقية، يتبعها توقف كلّ دول المنطقة من مقاتلة من توجد معهم خلافات عرقية كالأكراد عرقية بامتثالها عن مقاتلة الدول المعنبة وقد لا تتفق بين السنة من جهة، والشيعية والعلوية والإسماعيلية من ناحية أخرى، إضافة الى عرقية بائمتالها عن مقاتلة الجماعات المسلحة، التي يتبع كل منها لفريق فلسطينياً، وذلك في منطقة عين الرمانه شرقي بيروت.

اشتملت تلك الحرب المشؤومة ونحن في عمر الزهور وسنوات الحياة الربيعية، التي تعبت من حوليات الزمن السعادة المرجاة. لكن ما لم يكن بالحسبان، وما لم تكن تعرفه أو نتقف أنفسنا على تلقى شروره ومصائبه وإثرائه الحارقة، ثم تتبع حادثة بوسطة عين الرمانة من ظهور للمليشيات المسلحة، التي يتبع كل منها لفريق على الساحة اللبنانية، وما نتج عن انفعاليها من قتل ومدار وتجنيز. بدأت الأمور بشرذمة العاصمة بيروت ومناطقها، وتحولت مناطقها السعيدة إلى خطوط تماس، ومن ثم تقسيمها بين شرقية أغلبية سكانها من اللبنانيين المسيحيين، وغربية طابعها كما قيل وطني وأغلبية سكانها من المسلمين والحزبيين العلمانيين بمختلف أطيافهم ومعتقداتهم السياسية، ثم انفصلت العنودى إلى مختلف المناطق اللبنانية، بحيث بات اللبنانيون طوائف وأحزاباً متناحرة، بعد أنّ كانوا مواطنين أصحاء تجمعهم الدولة تحت رايبتها السيادية المروية بدماء شهداء ما قبل الإستقلال ومناضليها الذين طردوا المستعمر الفرنسي بتضامهم ووحدة كلمتهم واتخاذهم شعار:

الدين لله والوطن للجميع، وحدة مسار ومصير.

صفت الدولة خلال عشرين عاماً من تاريخ الإستقلال الناجز إلى مختلف الدول المتمكّنة من العلم والمعرفة والثقافة والفن المتميّن.

وبناء الإدارة العامة التي تحكّمها القوانين المرعية الإجراء، بغض النظر عن تدخلاات جهادية للسياسة، والتي لم تكن عليّنة وعلى قاعدة طائفية ومذهبية فضيحة بفضاحة بفسادها، كما طاقنا ما يحدث حالياً، بحيث كان مجلس الخدمة المدنية هو المسؤول الأول والأخير لتعيين موظفي الدولة عبر مباريات يخضع لها من يريد حسب الأصول. تأخذ المحلّين وتحكّم لتوزيع الطائفي العادل وليس السياسي إلاّفي ما ندر.

استمرت الحرب سنوات طوال، وآتى اتفاق الطائف ليضع حداً للحرب الأهلية وليصعب بمضموته قاعدة جديدة للحكم لم تتفق، لأنّ حرباً جديدة ذرّت رمادها في الوطن بعد أن أصبح رؤساء الميشتيات هم الحكام وأصحاب الحل والربط بعد أن تمّ القضاء على العديد من رجالات السياسة والأحزاب اليسارية التي همّش دورها بعد أن كانت شغلة المعارضة التي لا تهدأ، والتي يحسب لها ألف حساب، كما همّش دور الكفّاءات اللبنانية التي لم يعد لها مكان تحت شمس الوطن، فهاجرت إلى بلاد العالم تثرّث قوفاً وإبداعاتها، مساهمة في بناء الحضارة الأوكبنتية الجديدة، التي أسقطت هويتهم اللبنانية من معاقلها، بعد أن أصبحت هوية الوطن الجديد هي الهوية النابئة، بل الطريق الميسر للمستقبل المنشود.

في ذاك الزمن لم تكن لدينا الرغبة بمغادرة الوطن، واعتبر معظم اللبنانيين أنّ ثباتهم على أرض الوطن هو الهدف الحقيقي للنضال الوطني، يتبعه الرّثم المطلق للصعود على هوية أخرى، فرفضتها الحرب الأهلية وسبّلتها بعض الدول الغربية من أجل استقطاب الطاقات البشرية، عن خصلتها القادرة على العطاء والإنتاج. هذا ما حدث معي وعائلتي خلال تواجدنا في بلجيكا العام 1983 بعد اجتياح «إسرائيل» للبنان ووصولها إلى العاصمة بيروت، حينها حملنا الأولاد خوفاً عليهم، ووجهتنا بروكسل، لأنّ رسالة العلم كانت هي الهدف، ولأنّ الخراط في الحرب الأهلية كانت مخاطره كبيرة، خصوصاً لأن كان يعمل في الإدارة العامة الرئاسية أمثالنا، بالرغم من القناعات الواضحة للعديد من التجاوزات. لهذا التزمنا حدود الدولة والقوانين ولطلب العلم على أمل أن يعود لبنان إلى عصره المزهري، إلاّ أن كان فيه منارة الأترق.

ذات يوم فوجئت بخبر يأتيني من قبل بعض اللبنانيين، خصوصاً من السفارة اللبنانية في بروكسل، أنّ السفارة الأميركية هناك، تدعو جميع اللبنانيين الهاربين من الحرب الأهلية إلى مقارّها مع جوازات سفرهم من أجل الحصول مباشرة على «الغرين كارت» الأميركي. يومها رفضت بشدة وقلت لمن خاطبني: وطني هويتي ولن أستبدل هذه الهوية إبان محنة وطني بأية هوية في العالم مهما كانت الشبهات والإغراءات.

أسرد هذا الأمر، بسب تواجدي حالياً في الديار الأميركية التي بتّ من مواطنيها بحكم نبلي «الغرين كارت» الذي اجتهدت كي أحصل عليه بسبب وجود ابني في ديارهم وهو من العلماء المحلّين في الأبحاث الطبية، وبحكم أنني غير سعيدة بما أتت إليه الأمور في وطني لبنان، بحيث بتّ وأمثالي، ممن لا ناقة لهم ولا جمل في وطنهم الأيّ، مهشّين من قبل ذوي الأمر والنهي، ورغم ثباتنا على العمل المجدي والتافع الذي يصوب إلى المصلحة الوطنية القانفية العليا التي باتت أيضاً مصادرة من حاشية المسؤول، مما اضطرني إلى الهرولة من جديد خلف الهوية الأخرى التي تضمن شيخوختي... مكره أذاك لا يطل.

وصلت وولاً إلى مدينة أتلانتيك سيتي السياحية الجميلة، طبعاً

عملت على التعرّف على المدينة الجميلة الهادئة التي تلغح الزائر إليها زُغردات النوارس البحرية التي تحط على اكتاف المشاة على الشاطئ البحري الهادئ المكتظ بالفنادق والمطاعم والمحلات التجارية خصوصاً الثرائية من مختلف البلدان، دون خوف من إنسان يؤذيها، أبهرتني حركة النوارس المتألفه من الناس هناك، لأنّ في وطني لبنان بلد الطرية الخلابة هجرت كافة أعمارها لقعة الآن والآن.

على أيّردك المسؤول في وطني أهمية التحلّي عن الهوية الوطنية بسبب فقدان الأمن والأمان والأمراض الجرثومية التي تسببها النفايات المتراكمة في الشوارع منذ أكثر من عام، والتي لا يمكن لسائح أن يلحظها في ديارهم بالرغم من عديد الناس المتواجدين عندهم. أيّردك المسؤول في وطني ما معنى أنّ يهاجر السائح شيوخاً وطاعين في السنّ من أجل طلب الأمن وتأمين شيخوخة لا تسلمهم أمراضها على أبواب المستشفيات وجيوبهم خاوية؟ أيّردك أنت المسؤول الذي يخفي الغلط في أبارد ويتغاضى عن جشع العدو الصهيوني يسلبنا هذه الفروة الوطنية التي ستغرق الوطن بالخير أنهم يسبئون اللبنانيين والوطن دون أن يدروا، أو ربما هم على بيّنة من الأمر، وغايتهم تفريق الوطن؟ ثمّ ألا يعلم حكامنا أنّ العددي من أبناء المهاجرين باتوا لا يتقنون لغة الوطن العربية وبالتالي لا تعنيهم الهوية اللبنانية، وهذا الفعل نتيجته سلبية على المدى البعيد بل مهلكة ومدمّرة؟

أسئلة كثيرة راودت فكري وعقلي وأنا أتكلّم مع أحد المهاجرين إلى أميركا حين ناقشته بمدى أحقية ابنه بتعلم لغة الوطن كي يتنازع بالحقين إليها في يوم من الأيام، أجابني مستهزئاً: يا سيدتي أنا نسيت أرضي وطني وبتّ أميركي والأفضل لبناي متعلق هذه الهوية، لأنها تضمن لهم مستقبلهم فلا تمنحهم صفة طائفية أو حزبية وإنما تمنحهم انتماء لوطن يقدر كفاءاتهم في المستقبل، فلربما أصبح ابني يوماً وهو من مواليد هذا البلد رئيساً للجمهورية أو مسؤولاً كبيراً، لما ارتك هذا الحلم لأعدو به ولم يبتل بمحرم طائقاتي ومخزنتي ومنحني صفة مذنبية لا لذنب لي بحلها؟

فكرت طويلاً وأنا استمع إليه وقلت في نفسي: لن أستطيع عدّاً أنّ

أعلم بعدة أحمادي إلى وطنهم الإلّ لبنان لأنّ تفكيرهم بات مرتبطاً بتفكير الجعود ممن سبقهم، ومما عبّر عنه هذا المواطن اللبناني، الذي هجرّ قسراً نتيجة للحروب المفروضة على شعوبنا ومنطقنا، دون أيّ أحساب إنسانية للإنسان، وحقه في العيش بأمن في وطنه الأيّ، غصمت بالجابج، لآتي بت مقفّعة بما يقول، بالرغم من شدّة معارضتي لهذا الفعل المفروض قسراً عل أبائنا المهاجرين، الذين فرضت عليهم الهوية الجديدة نتيجة للحروب المفروضة وأسبابها ومبشّباتها ونتائجها السلبية على كلّ المسمارات.

«ملاحظة: مقالتي المعقلم من مدينة نيويورك حول الانتخابات الأميركية وما يجري هنا على أرض الواقع».

* رئيسة ديوان أهل القلم Khaym1979@yahoo.com

هل الهوية الجديدة...

نتيجة للحروب المفروضة؟

■ **د. سلوى الخليل الأمين***

اتلانتيك سيتي

فكرت كثيراً أنّ أهول خلف هوية جديدة تمنحني وطناً آمناً، ألود به من ظلم ذوي القربى، الذين هم حكام ومسؤولو وطني الأنشاس، الذين رسموا عرشهم الثابتة على صحاف عقولنا بالقوة التي تمكنوا منها في زمن الحرب الأهلية، التي كانت شرارتها الأولى في 13 نيسان من العام 1975 أثناء التعدي على بوسطة تقل فريقاً رياضياً فلسطينياً، وذلك في منطقة عين الرمانه شرقي بيروت.

اشتملت تلك الحرب المشؤومة ونحن في عمر الزهور وسنوات الحياة الربيعية، التي تعبت من حوليات الزمن السعادة المرجاة. لكن ما لم يكن بالحسبان، وما لم تكن تعرفه أو نتقف أنفسنا على تلقى شروره ومصائبه وإثرائه الحارقة، ثم تتبع حادثة بوسطة عين الرمانة من ظهور للمليشيات المسلحة، التي يتبع كل منها لفريق على الساحة اللبنانية، وما نتج عن انفعاليها من قتل ومدار وتجنيز. بدأت الأمور بشرذمة العاصمة بيروت ومناطقها، وتحولت مناطقها السعيدة إلى خطوط تماس، ومن ثم تقسيمها بين شرقية أغلبية سكانها من اللبنانيين المسيحيين، وغربية طابعها كما قيل وطني وأغلبية سكانها من المسلمين والحزبيين العلمانيين بمختلف أطيافهم ومعتقداتهم السياسية، ثم انفصلت العنودى إلى مختلف المناطق اللبنانية، بحيث بات اللبنانيون طوائف وأحزاباً متناحرة، بعد أنّ كانوا مواطنين أصحاء تجمعهم الدولة تحت رايبتها السيادية المروية بدماء شهداء ما قبل الإستقلال ومناضليها الذين طردوا المستعمر الفرنسي بتضامهم ووحدة كلمتهم واتخاذهم شعار:

الدين لله والوطن للجميع، وحدة مسار ومصير. صفت الدولة خلال عشرين عاماً من تاريخ الإستقلال الناجز إلى مختلف الدول المتمكّنة من العلم والمعرفة والثقافة والفن المتميّن. وبناء الإدارة العامة التي تحكّمها القوانين المرعية الإجراء، بغض النظر عن تدخلاات جهادية للسياسة، والتي لم تكن عليّنة وعلى قاعدة طائفية ومذهبية فضيحة بفضاحة بفسادها، كما طاقنا ما يحدث حالياً، بحيث كان مجلس الخدمة المدنية هو المسؤول الأول والأخير لتعيين موظفي الدولة عبر مباريات يخضع لها من يريد حسب الأصول. تأخذ المحلّين وتحكّم لتوزيع الطائفي العادل وليس السياسي إلاّفي ما ندر.

استمرت الحرب سنوات طوال، وآتى اتفاق الطائف ليضع حداً للحرب الأهلية وليصعب بمضموته قاعدة جديدة للحكم لم تتفق، لأنّ حرباً جديدة ذرّت رمادها في الوطن بعد أن أصبح رؤساء الميشتيات هم الحكام وأصحاب الحل والربط بعد أن تمّ القضاء على العديد من رجالات السياسة والأحزاب اليسارية التي همّش دورها بعد أن كانت شغلة المعارضة التي لا تهدأ، والتي يحسب لها ألف حساب، كما همّش دور الكفّاءات اللبنانية التي لم يعد لها مكان تحت شمس الوطن، فهاجرت إلى بلاد العالم تثرّث قوفاً وإبداعاتها، مساهمة في بناء الحضارة الأوكبنتية الجديدة، التي أسقطت هويتهم اللبنانية من معاقلها، بعد أن أصبحت هوية الوطن الجديد هي الهوية النابئة، بل الطريق الميسر للمستقبل المنشود.

في ذاك الزمن لم تكن لدينا الرغبة بمغادرة الوطن، واعتبر معظم اللبنانيين أنّ ثباتهم على أرض الوطن هو الهدف الحقيقي للنضال الوطني، يتبعه الرّثم المطلق للصعود على هوية أخرى، فرفضتها الحرب الأهلية وسبّلتها بعض الدول الغربية من أجل استقطاب الطاقات البشرية، عن خصلتها القادرة على العطاء والإنتاج. هذا ما حدث معي وعائلتي خلال تواجدنا في بلجيكا العام 1983 بعد اجتياح «إسرائيل» للبنان ووصولها إلى العاصمة بيروت، حينها حملنا الأولاد خوفاً عليهم، ووجهتنا بروكسل، لأنّ رسالة العلم كانت هي الهدف، ولأنّ الخراط في الحرب الأهلية كانت مخاطره كبيرة، خصوصاً لأن كان يعمل في الإدارة العامة الرئاسية أمثالنا، بالرغم من القناعات الواضحة للعديد من التجاوزات. لهذا التزمنا حدود الدولة والقوانين ولطلب العلم على أمل أن يعود لبنان إلى عصره المزهري، إلاّ أن كان فيه منارة الأترق.

ذات يوم فوجئت بخبر يأتيني من قبل بعض اللبنانيين، خصوصاً من السفارة اللبنانية في بروكسل، أنّ السفارة الأميركية هناك، تدعو جميع اللبنانيين الهاربين من الحرب الأهلية إلى مقارّها مع جوازات سفرهم من أجل الحصول مباشرة على «الغرين كارت» الأميركي. يومها رفضت بشدة وقلت لمن خاطبني: وطني هويتي ولن أستبدل هذه الهوية إبان محنة وطني بأية هوية في العالم مهما كانت الشبهات والإغراءات.

أسرد هذا الأمر، بسب تواجدي حالياً في الديار الأميركية التي بتّ من مواطنيها بحكم نبلي «الغرين كارت» الذي اجتهدت كي أحصل عليه بسبب وجود ابني في ديارهم وهو من العلماء المحلّين في الأبحاث الطبية، وبحكم أنني غير سعيدة بما أتت إليه الأمور في وطني لبنان، بحيث بتّ وأمثالي، ممن لا ناقة لهم ولا جمل في وطنهم الأيّ، مهشّين من قبل ذوي الأمر والنهي، ورغم ثباتنا على العمل المجدي والتافع الذي يصوب إلى المصلحة الوطنية القانفية العليا التي باتت أيضاً مصادرة من حاشية المسؤول، مما اضطرني إلى الهرولة من جديد خلف الهوية الأخرى التي تضمن شيخوختي... مكره أذاك لا يطل.

وصلت وولاً إلى مدينة أتلانتيك سيتي السياحية الجميلة، طبعاً

عملت على التعرّف على المدينة الجميلة الهادئة التي تلغح الزائر إليها زُغردات النوارس البحرية التي تحط على اكتاف المشاة على الشاطئ البحري الهادئ المكتظ بالفنادق والمطاعم والمحلات التجارية خصوصاً الثرائية من مختلف البلدان، دون خوف من إنسان يؤذيها، أبهرتني حركة النوارس المتألفه من الناس هناك، لأنّ في وطني لبنان بلد الطرية الخلابة هجرت كافة أعمارها لقعة الآن والآن.

على أيّردك المسؤول في وطني أهمية التحلّي عن الهوية الوطنية بسبب فقدان الأمن والأمان والأمراض الجرثومية التي تسببها النفايات المتراكمة في الشوارع منذ أكثر من عام، والتي لا يمكن لسائح أن يلحظها في ديارهم بالرغم من عديد الناس المتواجدين عندهم. أيّردك المسؤول في وطني ما معنى أنّ يهاجر السائح شيوخاً وطاعين في السنّ من أجل طلب الأمن وتأمين شيخوخة لا تسلمهم أمراضها على أبواب المستشفيات وجيوبهم خاوية؟ أيّردك أنت المسؤول الذي يخفي الغلط في أبارد ويتغاضى عن جشع العدو الصهيوني يسلبنا هذه الفروة الوطنية التي ستغرق الوطن بالخير أنهم يسبئون اللبنانيين والوطن دون أن يدروا، أو ربما هم على بيّنة من الأمر، وغايتهم تفريق الوطن؟ ثمّ ألا يعلم حكامنا أنّ العددي من أبناء المهاجرين باتوا لا يتقنون لغة الوطن العربية وبالتالي لا تعنيهم الهوية اللبنانية، وهذا الفعل نتيجته سلبية على المدى البعيد بل مهلكة ومدمّرة؟

أسئلة كثيرة راودت فكري وعقلي وأنا أتكلّم مع أحد المهاجرين إلى أميركا حين ناقشته بمدى أحقية ابنه بتعلم لغة الوطن كي يتنازع بالحقين إليها في يوم من الأيام، أجابني مستهزئاً: يا سيدتي أنا نسيت أرضي وطني وبتّ أميركي والأفضل لبناي متعلق هذه الهوية، لأنها تضمن لهم مستقبلهم فلا تمنحهم صفة طائفية أو حزبية وإنما تمنحهم انتماء لوطن يقدر كفاءاتهم في المستقبل، فلربما أصبح ابني يوماً وهو من مواليد هذا البلد رئيساً للجمهورية أو مسؤولاً كبيراً، لما ارتك هذا الحلم لأعدو به ولم يبتل بمحرم طائقاتي ومخزنتي ومنحني صفة مذنبية لا لذنب لي بحلها؟

فكرت طويلاً وأنا استمع إليه وقلت في نفسي: لن أستطيع عدّاً أنّ

أعلم بعدة أحمادي إلى وطنهم الإلّ لبنان لأنّ تفكيرهم بات مرتبطاً بتفكير الجعود ممن سبقهم، ومما عبّر عنه هذا المواطن اللبناني، الذي هجرّ قسراً نتيجة للحروب المفروضة على شعوبنا ومنطقنا، دون أيّ أحساب إنسانية للإنسان، وحقه في العيش بأمن في وطنه الأيّ، غصمت بالجابج، لآتي بت مقفّعة بما يقول، بالرغم من شدّة معارضتي لهذا الفعل المفروض قسراً عل أبائنا المهاجرين، الذين فرضت عليهم الهوية الجديدة نتيجة للحروب المفروضة وأسبابها ومبشّباتها ونتائجها السلبية على كلّ المسمارات.

«ملاحظة: مقالتي المعقلم من مدينة نيويورك حول الانتخابات الأميركية وما يجري هنا على أرض الواقع».

* رئيسة ديوان أهل القلم